

ظاهرة الإحالة في المنهج التداولي وأثرها في تجديد تحليل الخطاب اللساني

د. عمر بوقمرة*

جامعة حسبية بن بوعلی الشلف

dr.bouguemra@gmail.com

الاستلام: 2020/01/11 . القبول: 2021/06/05 . النشر: 2021/09/30.

الملخص: ظهر المنهج التداولي كرد فعل على عجز المنهج البنيوي، الذي اقتصر في تحليل النصوص على دراسة وتحليل العلاقات البنيوية الداخلية بين العلامات اللغوية فقط مقصيا بذلك العلامات غير اللغوية من دائرة اهتمامه؛ ونتيجة ذلك قصور في الفهم، وضعف في التحليل، اقتضيا حراكا وترحلا منهجيا لسانيا من البنيوية إلى التداولية. وسنحاول في هذا البحث تتبع ورصد ظاهرة الإحالة بعدها من أهم القضايا التداولية؛ لحضورها في كل القضايا التي تدرسها التداولية دون استثناء، مجتهدين في الإجابة عن أسئلة من قبيل: ما الإحالة؟ وما موقعها من العلامة اللغوية، عند دوسوسير، وبيرس، وفلاسفة اللغة العادية؟ وما مبررات إقامتها في العلامة اللغوية عند التداوليين؟ وكيف أسهمت في فهم الخطاب وتحليله؟ معتمدين على المنهج التاريخي في تتبع الظاهرة، والمنهج الوصفي في وصفها وعلى أدوات التحليل والاستقراء في استخلاص النتائج.

الكلمات المفتاح: العلامة، اللسانيات، الإحالة؛ المرجع، التداولية.

The phenomenon of referral in the pragmatic approach and its impact on renewing the analysis of linguistic discourse

* المؤلف المرسل.

Abstract: The Pragmatic approach has Appeared as a reaction to the inability of the structural approach, which was limited in the analysis of texts only to the study and analysis of internal structural relations between linguistic signs, thus excluding the non-linguistic signs from its area of interest; what caused a methodical movement From structuralism to Pragmatics.. In this research, we will try to track and monitor the referral phenomenon as it is one of the most important Pragmatic issues; What is its position in the linguistic sign of Ferdinand de saussur, Pierce, and philosophers of ordinary language? What are the justifications to including it in the linguistic sign at the pragmatists? How did It contribute to understanding and analyzing the speech? I followed the historical method in tracking the phenomenon, and the descriptive approach in describing it, using the tools of analysis and induction to Summarize the conclusions.

Key words: Sign; Reference; Linguistics; Referent ; Pragmatics.

مقدمة: اكتسبت اللغة قيمتها من وظيفتها التي تؤديها ، والأغراض التي تقضيها في صدر المجتمع. والوظيفة تقتضي الحركة ، والحركة تستلزم التطور والتغير ؛ فاللغة كائن حي ؛ وتلك الحياة الملازمة للحركة اقتضت أن تكون المناهج اللسانية التي تشتغل على تحليل رموزها وفك مستغلقاتها الدلالية ، حية غير جامدة ، قابلة للتعديل أو الإلغاء بعد التجريب والتوظيف. فاللغة ليست نسقا رمزيا دلاليا جامدا ، وكيف تكون كذلك وهي ساحة نزال في كل مجالات الحياة ؛ من السياسة إلى الاجتماع إلى الاقتصاد ، إلى الفكر والإيديولوجيا وغيرها.

ويعد المنهج البنيوي أول المناهج اللسانية الحديثة التي اغترت بها اللغة زمنا غير يسير ، هو المنهج البنيوي السوسيري ، ولكن سرعان ما تجاوزته الدراسات النقدية بعد أن تبين عوره وعجزه عن معالجة جوانب مهمة في اللغة ؛ وسبب ذلك القصور هو التطرف في غلق بنية النص ، وعزلها عن ملابستها التداولية التي أنتجتها ، لدرجة إعلان موت المؤلف ، الذي كان في حقيقة الأمر نعيًا للمنهج البنيوي.

إن القطيعة التي اعتمدها البنيوية بين العلامة اللغوية وبين العلامات غير اللغوية ؛ كانت المنفذ الرئيس إلى المنهج التداولي ، الذي اضطلع بإعادة شد اللحمة بين العلامات

اللغوية والعلامات غير اللغوية بجميع أصنافها؛ ومن ثم لا يجوز منهجيا لمن يهتم بتحليل الخطابات اللسانية وفق هذا المنهج؛ مهما كان نوعها ومصدرها إهمال أي عنصر من عناصر التحليل اللغوية الداخلية منها والخارجية. وهذه الدراسة تروم بحث الإحالة بعدها إحدى أهم القضايا التداولية التي تعد مرتكزا ضروريا في تحليل الخطاب، وفهم معانيه ومرامييه؛ بعيدا عن النصية البنيوية، أو الشكلائية الروسية.

1- بنيوية دو سوسير وعلمنة النص: أدى الاحتفاء المبالغ فيه بالمؤلف في الدراسات النقدية الكلاسيكية من حيث مميزاته النفسية، والاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، في معالجة النصوص وتحليلها إلى ظهور اتجاه معاكس؛ همه الوحيد تجريد المؤلف من كامل حقوقه، إنه المنهج البنيوي الذي سيطر على الساحة النقدية مع بداية الستينيات، إذ "تحدد البنيوية موضوع دراستها في تحليل النص بمعزل عن هدفه، إنها تعتبر النص مغلقا؛ أي أن هذا المنهج لا يهتم بما دون وما فوق النص، ولا ببنيته الدلالية، فالنص صالح لكل التجارب لأنه بنية قائمة ومحددة"¹.

ومعنى هذا أن اللسانيات البنيوية تقصي من بحثها المتكلم أو المؤلف والظروف التي ولد فيها النص، ومما أسهم في انتشار هذا المنهج وسيطرته على الساحة النقدية الأوروبية، هو اعتماد الباحثين على التفريق الذي جاء به (دو سوسير) فيما يخص اللغة والكلام، حيث انصب اهتمامهم على اللغة بعدها موضوع اللسانيات، يضاف إلى ذلك التراث الفكري الضخم الذي ورثوه في القرن التاسع عشر. تقول ذهبية حمو الحاج: "فالمدسة الأوروبية اعتمدت اللغة لا الكلام، ذلك أنها قامت على أفكار "سوسير"، فقد كان لدى الأوروبيين تراث ضخم من الفكر الفلسفي اللغوي، يعود إلى عهود قديمة جدا، اعتمدوا على الدراسة التاريخية للغة إذ كانت المادة متوفرة في القرن التاسع عشر، خاصة بتطور الأسنية الأوروبية القديمة، استندوا إلى النصوص المكتوبة، وبذلك نشأت دراستهم من فكرة تفسير النص أما دراسة اللغات الحية فكانت ثانوية ..."²

والحقيقة أن هذا الإقصاء والتهميش لم يكن من نصيب المؤلف وحده، بل طال أيضا القارئ. يقول (أمبرتو إيكو): "في بداية الستينات كان الاعتقاد السائد أن النص ينبغي أن يدرس في بنيته الموضوعية الخاصة، كما تبدو في سطحها الدال، بينما ترك التدخل التأويلي للمستقبل في الظل إن لم يبلغ تماما"³. وتلك فجوة منهجية كان لها ما بعدها في حراك منهجي سريع.

2 - من سلطة القارئ إلى موت المؤلف: ومع أواخر الستينيات وأواسط السبعينيات دخلت البنيوية مرحلة الشيخوخة وأصابها العياء، وبدأ بريقها يتلاشى شيئا فشيئا وبدا للنقاد

المشتغلين بالنصوص أنه لابد من كسر قيود النص المغلق ، والاتفات إلى القارئ ودوره في إحياء النص ووجوده. لقد "ارتكزت سوسولوجيا القراءة بعكس ما تذهب إليه المقاربات النصانية كالشكلائية والبنوية ... على رفض مقولة البنية المغلقة ، وعلى تجاوز الفرضية القائلة أن النصوص الأدبية تمتلك "ماهيتها" و" دلالتها" في ذاتها ، وبكيفية جوهرية و" لا تاريخية " وتتعلق ببنية النصوص وحدها"⁴.

وتعد القراءات النقدية التي حاربت البنيوية وتمردت عليها ، لا سيما مع (بلانشو) و(بارت) و(دريدا) وغيرهم من أنصار التفكيك أكثر مناقضة لمبادئ البنيوية. لقد ارتكز هذا الاتجاه النقدي على بعث واستحياء آراء الفلاسفة والأدباء ، الذين دعوا إلى القطيعة متأسين في ذلك بأفكار (مالارمي) ، و(بول فاليري) في الجانب الأدبي ، وأفكار (نتشه) في الجانب الفلسفي .

وأهم شيء أثاره هذا الاتجاه هو تعدد القراءات وتأويلاتها ، ومن ثم لانهاياتها ، التي صارت وساما على صدر القارئ ، يتحدى به سلطة معايير الصواب والخطأ ، فأى سلطة لها حق منح تأويلا ما شهادة القبول ، ومنح تأويلا آخر شهادة الإخفاق والخطأ ، فنحن لسنا بحاجة إلى هذه الثنائية (صحيح/خطأ) على حد تعبير نتشه⁵. إن الفكر التفكيكي لـ " دريدا " يقوم على مقولتي " تفكيك المعنى " و " المعنى المرجأ "؛ فمعنى النص الحقيقي هو " لا معناه " أو فراغه من المعنى ، فأى معنى نعطيه لنص ما ، حتما سوف يتفكك من تلقاء نفسه ؛ لأنه عاجز عن الإمساك بعناصر النص وإدماجها ، فالمعنى النهائي أو الأصلي الذي يمكن أن يُحكم به على بقية التأويلات مرجأ ومؤخر إلى ما لا نهاية ، لأن النص دائما يثير معان جديدة ، وما دام أنه ليس هناك معنى نهائي ومثالي ؛ فإن كل القراءات والتأويلات مقبولة ومشروعة⁶.

وما تريد التفكيكية أن تؤكد هو أن سلطة اللذة والمتعة هي السلطة الوحيدة ؛ ولذلك ليس من حقنا التشكيك في أي دلالة يخلعها أي قارئ على نص ما ، وباختصار: " ما تريد التفكيكية أن تبينه هو أن معنى القراءة هو في الحقيقة غير قابل للتحكم فيه ، أليست القراءة إسقاطا ولعبا أيضا؟ بل أكثر من ذلك لعب فوضوي ربما حانت اللحظة التي يتم فيها التخلي عن الضغط ، والاعتراف بأن التأويل ليس شيئا آخر غير اللعب- لعب فوضوي"⁷.

وما دام الأمر كذلك فمن العبث محاولة إعطاء النص معنى ثابتا ، ومن ثم يستحيل إدراك النص بوصفه كلا متكاملًا ، وهذا ما يجعل عملية وصل النص بمنتجه ومالكة الأصلي ومقاصده ونواياه غير وارد في قاموس التفكيكية ، التي تسعى دوما إلى تفجير النص عن طريق تفكيكه ، وقد أدى هذا التوجه في نهاية الأمر إلى أن موت المؤلف ولادة للكتابة والعكس صحيح ؛ حين نعاه الناقد الفرنسي " رولان بارت " في مقال له تحت عنوان " موت المؤلف " وذلك سنة ثمانية وستين وتسعمائة وألف⁸.

إذ يرى أن المؤلف شخصيته حديثة النشأة ، ووليدة المجتمع الغربي الرأسمالي ؛ " فاللغة في رأي بارت هي التي تتكلم وليس المؤلف ، وأن أكتب معناه أن أبلغ عن طريق محوٍ أوليٍ شخصي ... تلك النقطة التي لا تعمل فيها إلا اللغة وليس أنا " ⁹.

3- موقع الإحالة من العلامة اللغوية في اللسانيات الحديثة:

أ- مفهوم الإحالة: الإحالة في اللغة تعني الإشارة. أما في الاصطلاح فهي تلك العلاقة القائمة بين الدوال ومدلولاتها في سياقها التداولي. يقول أحمد عفيفي: "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة ، فالأسماء تحيل على المسميات" ¹⁰.

ب - دوسوسير والعلامة الذهنية الخالصة: بالرجوع إلى أب اللسانيات الحديثة دي سوسير (1857م-1913م) نجد أنه يجعل الشيء الخارجي خارج اللعبة اللغوية (المرجع) مركزاً اهتمامه على الدال SIGNIFIANT والمدلول SIGNIFIE الحاصل باجتماعهما الدلالة SIGNIFICATION؛ حجته في ذلك " استحالة الجمع بين علامات من طبيعة متنوعة ، وكون المرجعية من طبيعة غير لغوية EXTRA LINGUISTIQUE فلا مجال للرجوع إلى الأشياء لتفسير العلامات اللغوية" ¹¹.

فاللغة عنده نظام لساني SYSTEM LINGUISTIQUE وحدته العلامة (SIGNE) ، وقد أكد في مرحلة أولى أنها تتكون من صورة سمعية ACOUSTIQUE IMAGE ومفهوم CONCEPT ، وفي مرحلة ثانية تخلى عن مصطلحي الصورة السمعية والمفهوم ليحل محلها الدال والمدلول.

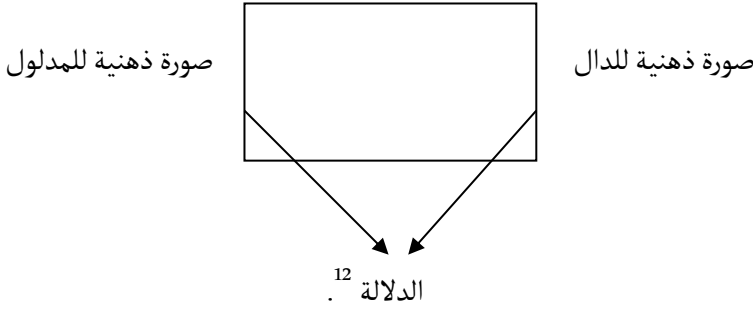
وقد أوضح طلبته من بعده علاقة الدال بالمدلول ، وحصول الدلالة من خلال ما يعرف بمربع الدلالة ، كما هو مبين في الرسم التالي :

مربع دي سوسير للدلالة

صورة حسية للمدلول (الشيء

صورة حسية للدال (اللفظ)

(الخارجي)



فمن خلال هذا المربع ندرك أن الدلالة لا تحصل نتيجة اقتران اللفظ بالموضوع الخارجي ، وإنما تتم بين الصورة الذهنية السمعية والصورة الذهنية التصويرية. وهذه الفكرة السوسيرية القائمة على إهمال المرجع وإقصائه من البحث اللساني يلتقي فيها مع ابن سينا الذي حصر العلامة بين اسم مسموع ومعنى ، وكذلك مع أرسطو " الذي يرى أن الدال هو الكلمة والمدلول هو التصور أو المفهوم ، أو الشيء المتخيل داخل العقل ، ولم يناقش أرسطو الإحالة إلى الشيء الخارجي ؛ وهو الذي يسمى بالجواهر أو الماهية ؛ لأنه يدخل في نطاق الإدراك " ¹³ . فمعنى كلمة منضدة عند أرسطو ليس هو جوهر المنضدة أو ماهيتها في العالم الخارجي بل هو تصور العقل لها " ¹⁴ .

ج - الإحالة عند بيرس والبناء الثلاثي للعلامة: في الفترة نفسها التي عاش فيها سوسير نجد فيلسوفاً ومنطقياً أمريكياً ؛ وهو تشارلز ساندرز بيرس CHARLES SONDRERS PIERCE (1839 - 1914) قد أعطى بعداً ثلاثي التركيب للعلامة اللغوية على النحو التالي :

1- **المصورة أو الممثل:** REPRESENTAMENT ويقابل الدليل عند دي سوسير .

2- **المفسرة:** INTERPRETANT وتقابل المدلول عند دي سوسير .

3- **الموضوع:** OBJET وهو ما تحيل عليه المصورة في الواقع الخارجي ¹⁵ .

ج - المثلث الدلالي عند ريتشارد وأوغدن وموقع الإحالة منه: وفي عام 1923م نشر ريتشاردز RICHARDS ، وأوجدن OGDEN مؤلفهما الموسوم ب : " معنى المعنى " (THE MEANING OF MEANING) شرحاً وأوضحاً فيه وجهة نظرهما في أركان الدلالة من خلال ما يعرف بالمثلث الدلالي الذي أخذ الشكل التالي :

الفكرة . المرجع . المدلول

THOUGHT – REFERENCE - SENSE

الشيء الخارجي. المشار إليه الرمز. الكلمة. الاسم
 SYMBOL-WORD-..... REFERENT-THING
 NAME

فالدال: هو ما أسماه أوجدن وريتشاردز بالرمز أو الكلمة أو الاسم ، والمدلول أو المفهوم : هو ما أسماه الباحثان بالفكرة أو المرجع أو المدلول. أما المرجع فهو الشيء المشار إليه والموجود في العالم الخارجي ، وتوضح النقاط المتقطعة في المثلث أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز و الشيء الموجود في العالم الخارجي .¹⁶

إن الحجج التي قدمها اللسانيون للدلالة على استحالة الاعتراف بالمرجع كعنصر من عناصر الدلالة ، لم تمنع بعضهم من بحث ودراسة إشكالية العلاقة بين اللغة والعالم الخارجي ، فقد أكد ليفي سترائيس ، وهو من أعلام مدرسة باريس البنوية أن التجربة الحية المعيشية تمثل الحقل المرجعي ، وأن إدراك الأشياء غير كاف لتحديد المرجع ، فالوظيفة الإحالية المرجعية للغة هي التي ترسم أبعاد الخطاب الحقيقية ، وتكتسب شرعيتها عندما تتطابق الدوال اللغوية مع الوقائع الخارجية .¹⁷

إن وظيفة المرجع كما يرى (جون ديبوا) لا تقتصر على علاقة الدليل اللغوي مع عالم الأشياء في الواقع فقط ، بل تتعداه إلى عالم الخيال ، و" هذه الوظيفة المرجعية تجعل الدليل في علاقة لا مع الأشياء الواقعة ، بل مع العالم كما يدرك داخل المكونات الإيديولوجية لثقافة ما ، فالمرجعية ترتبط بالموضوع الواقعي بقدر ما ترتبط بموضوع في الفكر "¹⁸ .

4- أقسام العلامة عند فلاسفة اللغة: إن النظرة الثلاثية للعلامة اللغوية التي طورها الدالتيون SEMIOTICIENS مسألة مهمة ، فمنذ (فريج) عدت الإحالة المشكل المركزي في فلسفة اللغة¹⁹ ، وقد قسم فلاسفتها العلامة إلى أربعة أقسام :

أ- علامة عامة: وهي ما تحيل على مجموعة من الأشخاص أو الأشياء مثل : إنسان ، وكراسي .

ب- علامة خاصة: وهي ما تحيل على شخص معين مثل خالد أو شي معين مثل كراسي .

ج- علامة معينة أو محيلة: وهي ما تشير إلى شخص محدد مثل أمك يا عمر ، وبدونها لا

يتم التواصل .

د- علامة غير محيلة أو غير معينة: وهي ما تحيل على شخص أو شيء غير محدد مثل: بنت، ولد²⁰.

ويمكن تعريف مرجعيات الملفوظ على أنها علامات تحيل إلى ملفوظيتها، وهذه الأخيرة تتطلب وجود متلفظ و مخاطب في لحظة زمنية محددة، وفضاء مكاني معين لحظة حصول عملية التلفظ؛ فلا تتم عملية التخاطب بدون حضور هذه الأدوات الإشارية: أنا، أنت، هنا الآن²¹.

5- وظيفة الإحالة: وهي تحديد وتعيين DEIXIS المبهمات، وعلى أساسها قسم هذا التعيين الوظيفي إلى ثلاثة أقسام:

أ- تعيين الشخص PERSON DEIXIS: ويهتم بما تعود عليه الضمائر مثل: أنا ونحن وأنت، وأنتم، وأنتم، وأنتن، وهو، وهي، وهما، وهم، ومن، وما يقوم مقامها في حال الوصل، وهي الضمائر المتصلة.

ب- تعيين الزمان TIME DEIXIS: ويهتم بتحديد الزمان من خلال سياق التلفظ، من الملفوظات الزمانية التي تحتاج إلى تعيين: العام الماضي، وذلك الزمن، والبارحة، وغدا وأمس، وغيرها.

ج- تعيين المكان PLACE DEIXIS: ويتناول تحديد الأمكنة التي ترد في سياقات مبهمه مثل قولنا: هنا، وهناك، وهناك، وفي ذلك المكان، وهذا البلد²².

6- نموذج للتحليل: فالخطاب يجسد باللغة في جميع مستوياتها، والمفردات تمثل النظام الصرفي، وكل كلمة تحمل مدلولاً معيناً إلا أن بعضها يوجد في المعجم الذهني دون أن يرتبط بمدلول ثابت، ومن ثم لا يظهر مدلوله إلا عبر التلفظ في سياق محدد، فإذا قرأت جملة معزولة عن سياقها مثل: "سوف يقومون بهذا العمل غدا لأنهم ليسوا هنا الآن" وجدتها غامضة لأنها احتوت على عدد من العناصر الإشارية، التي لا يمكن معرفة معناها إلا بالاعتماد على السياق الذي وردت فيه، والمرجع الذي تشير إليه، ف"واو الجماعة وضمير جمع الغائبين هم، و ظرفا الزمان غدا، والآن، وظرف المكان هنا، لا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر"²³. ولذلك ذهب (لفنسون) إلى أن هذه التعبيرات الإشارية دليل على أن اللغة وضعت للتواصل المباشر عن طريق المشافهة، ويظهر ذلك جليا حين يغيب ما تشير إليه فيخيم الغموض، ويستغل الفهم²⁴.

7- أ نموذج بلاغي رائع: مما ذكره البلاغيون كشرط لفصاحة الكلام المركب السلامة من أمرين هما:

- **ضعف التأليف:** هو خروج الكلام عن مقتضى قواعد اللغة المطردة ، ومخالفته القوانين النحوية الجارية ؛ ومن ذلك رجوع الضمير على متأخر لفظا ورتبة كقول حسان بن ثابت - رضي الله عنه :-

ولو أن مجدًا أخذ الدهر واحدًا * من الناس أبقى مجدًا الدهر مطعمًا**

فالضمير في مجده يعود إلى مطعم وهو متأخر في اللفظ وفي الرتبة ؛ لأن رتبة المفعول به تتأخر عن رتبة الفاعل ؛ غير أن الأحفش أجازه ، لأن استلزام الفعل للمفعول يقوم مقام تقدمه ، إلا أن الجمهور منعه لعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ؛ لذلك فهو غير فصيح ، إلا في مواضع محددة ذكرها النحاة ²⁵.

- **التعقيد اللفظي:** وهو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد لخلل في النظم ، بسبب التقديم ، أو التأخير ، أو الفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ، كما هو الحال بين الصفة والموصوف ، والامتداد والخبر ، والبدل والمبدل منه مثلا ؛ ومنه قول الفرزدق في قصيدة يمدح بها إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان:

وما مثله في الناس إلا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه.**

فقد غدّ هذا البيت مجانبًا للفصاحة لتأليفه المعقد وصعوبة استخلاص معناه ، فالمعنى الذي حاول الفرزدق أن يعبر عنه في هذا البيت هو: وما مثله - يعني الممدوح إبراهيم المخزومي - في الناس حي يقاربه - أي أحد يشبهه في الفضائل - إلا مملكا - يعني هشام بن عبد الملك بن أخت الممدوح إبراهيم المخزومي - أبو أمه - أي أبو أم هشام - أبو أمه - أي أبو الممدوح إبراهيم المخزومي - فالضمير في أمه " للملك " هشام بن عبد الملك ، وفي " أبوه " للممدوح ، وأبو أم هشام وأبو الممدوح هو واحد لأن أم هشام هي أخته وأبوها وأبوه واحد. وكان عليه أن يقول حسب رأي القزويني: ليس مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، فقد وقع الفرزدق في ثلاثة محاذير وهي:

- فصله بين المبتدأ (أبو أمه) والخبر (أبوه) بأجنبي هو (حي) .

- فصله بين الصفة والموصوف (حي) ، (يقاربه) بأجنبي هو (أبوه).

- تقديمه المستثنى (مملكا) على المستثنى منه (حي يقاربه) .

هذه مقارنة بلاغية لازالت سارية المفعول إلى يومنا هذا ، ولو لبسنا نظارات لسانية تداولية إحالية لخلصنا إلى نتائج قد تكون مقبولة ، و لربما لو عرضت على البلاغيين أنفسهم لأقروا بها ، وإن لم يفعلوا لاختلاف المنهج فلن يستطيعوا إنكار النتائج ؛ فإذا تأملنا البيت الشعري الأول لألفينا هذا العيب البلاغي النحوي (ضعف التأليف) المؤدي إلى خفاء وصعوبة استخلاص الدلالة راجعا في النهاية إلى غياب الوظيفة الأولى من وظائف الإحالة ؛ وهي تعيين

الشخص ، التي يتم بواسطتها تحديد ما يعود عليه الضمير الغائب ، ولو حذف منه الضمير ووضع مكانه الاسم الذي يعود عليه لزال الإشكال:

ولو أنْ مَجْدًا أخلدَ الدهرَ واحِدًا*** من الناسِ أبقى مَجْدُ مطعمِ الدهرِ مطعمًا

وحتى البيت الثاني الذي مثل به البلاغيون لعيب التعقيد اللفظي إذا تأملناه بالزاوية نفسها أفيناه راجعا إلى غياب الوظيفة الإحالية الأولى ؛ وهي تعيين الشخص ؛ أي بيان مفسرات الضمائر التي أبست هذا البيت غموضا وعتنا دلاليين زائدين ، ولو حذفنا الضمائر الغائبة ، وأحللنا مكانها مسمياتها على النحو التالي ؛ لأفصح البيت بمعناه دون أي عناء:

وما مثله (إبراهيم المخزومي) في الناسِ إلا مُملِكًا (هشام بن عبد الملك) أبو أمه (هشام) حيُّ أبوه (إبراهيم المخزومي) يقاربه (هشام بن عبد الملك) ، يضاف إلى ذلك ضمير الفاعل في الفعل يقارب ومفسره (إبراهيم المخزومي). إذن صار عندنا خمسة ضمائر مبهمة أسهمت في غموض المعنى ، وهي كلها تعود إلى وظيفة واحدة من وظائف الإحالة ، فكيف وقد رأينا أن العلامة (مملكا) في البيت الثاني هي علامة عامة مثل إنسان ورجل وكوسي ، لا تحيل على معنى مخصوص أي ليست علامة محيلة ، وتحتاج إلى تحديد معناها بذكر الاسم العلم الذي تعود عليه وهو الملك هشام. وقد أكد النحاة على وجوب عودة الضمير الغائب على معلوم إما في الذهن وإما في اللفظ ؛ ليفسر غموضه ، ويزيل لبسه ؛ ولذلك قالوا لا يجوز عود الضمير على متأخر في اللفظ والترتبة إلا في حالات محددة ذكروها في مصنفاتهم النحوية تفصيلا.²⁶

وفي الأخير ينبغي الإشارة إلى أن بعض الباحثين المحدثين قد فرق بين مصطلحي الإشارة (المرجع) والإحالة ، فالأول يرتبط بالقولة المعينة في مناسبة معينة ، بمعنى أنها مقيدة بسياق القول ، فهي إذن دلالة خاصة ، في حين أن الثانية هي العلاقة التي تربط بين التعابير اللغوية والعالم الخارجي بغض النظر عن السياق الخاص.

وقد يبدو هذا التفريق جليا في عبارات مثل: (سيد المرسلين) و (خاتم الأنبياء) و (سيد الكائنات) فلن يصعب علينا من خلال سياقنا الثقافي كمسلمين تحديد المشار إليه ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. أما المحال عليه فيتوصل إليه عن طريق المعاني الوضعية لمفردات هذه العبارات بعيدا عن السياقات المحيطة بها خارج النص وداخله ، ولذلك فلا تدل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بل تدل أن المحال عليه يتمتع بالسيادة على جميع الرسل ، أو كل المخلوقات أو كونه آخر الأنبياء.²⁷

الخاتمة: و خلاصة البحث أن الإحالة أو المرجع من أهم القضايا التداولية ؛ التي تسهم في ترشيد تحليل الخطابات اللسانية تحليلا مقاصديا ؛ بعيدا عن التحليل الشكلاني النصاني ؛ الذي تطرف لدرجة إعلان موت المؤلف مع بارت ومن وافقه ، ومبرءا من عبثية التفكيكية التي

لاتؤمن بثنائية الصحيح والخطأ؛ ومن ثم فكل التأويلات سائغة ومشروعة؛ وهذا منهج لا يصلح لدراسة النصوص البشرية فضلا عن النصوص الإلهية.

وجلي أن البداية الخاطئة كانت مع أب اللسانيات الحديثة دوسوسير، عندما قصر العلامة اللغوية على الصورة الذهنية للدال والصورة الذهنية للمدلول، وأقصى المشار إليه في الخارج (الإحالة)، ولكن سرعان ما اكتشف فلاسفة اللغة العادية عوار هذا التوجه وأثره السيء على تحليل الخطاب أي خطاب؛ فأعلنوا التمرد على منهج دوسوسير وضرورة استرجاع الموضوعات المشار إليها في الخارج؛ فكان لهم ما أرادوا، وبرز المنهج التداولي كوريث شرعي للمنهج البنيوي.

-المراجع:

- ¹ ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر.
- ² إدريس مقبول: الأسس الإستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيوبه، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2006م.
- ³ عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2007م.
- ⁴ يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي - الاستراتيجية والإجراء - عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2007م.
- ⁵ UMBERTO ECO , LES LUMITES DE L' INTERPRETATION , TRA , PAR MYRIEM : BOUZAHER , ED GRASSET, PARIS ,1992 , PP74 , ET SUITE .
- ⁶ رولان بارت: موت المؤلف، في درس السيميولوجيا، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، عام 1986م.
- ⁷ ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر.
- ⁸ أحمد شامية: دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ، الجزائر، الطبعة الأولى، 2002م.
- ⁹ صلاح الدين صلاح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.
- ¹⁰ ينظر: غريب إسكندر، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة، 2002م.
- ¹¹ أحمد مختار عمر، عم الدلالة، عالم الكتاب، الطبعة الخاصة، 1998.
- ¹² عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2003م.
- ¹³ فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الجباشة، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، سنة 2007م.
- ¹⁴ جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 1998م.
- ¹⁵ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2004م.

- ¹⁶ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002م.
- ¹⁷ أحمد عفيفي: نحو النصوص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، 2001.
- ¹⁸ ابن هشام الأنصاري: شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ومعه منتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكوخ للطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ط1 ، 1383.

الهوامش:

- ¹ ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص 69 .
- ² المرجع نفسه ، ص 69 .
- ³ إدريس مقبول: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، عالم الكتاب الحديث ، إربد ، الأردن ، الطبعة الأولى ، سنة 2006م ، ص 134 .
- ⁴ عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام 2007م ، ص 241 .
- ⁵ ينظر: يحي رمضان: القراءة في الخطاب الأصولي – الاستراتيجية والإجراء – عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، 2007م ، ص 136- 137 .
- ⁶ ينظر : UMBERTO ECO , LES LUMITES DE L' INTERPRETATION , TRA , PAR MYRIEM BOUZAHER , ED GRASSET, PARIS ,1992 , PP74 , ET SUITE .
- ⁷ يحي رمضان : القراءة في الخطاب الأصولي ، ص 137 .
- ⁸ ينظر : المرجع نفسه ، ص 139 - 140 .
- ⁹ رولان بارت: موت المؤلف ، في درس السيميولوجيا ، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي ، تقديم عبد الفتاح كيليطو ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، الطبعة الثانية ، عام 1986م ، ص 82 .
- ¹⁰ أحمد عفيفي: نحو النصوص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، 2001 ، ص 116.
- ¹¹ ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلطف وتداولية الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص 92 .
- ¹² أحمد شامية: دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية ، دار البلاغ ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2002م ، ص 47 .
- ¹³ صلاح الدين صلاح حسنين : الدلالة والنحو ، مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى ، ص 25 .
- ¹⁴ المرجع نفسه ، ص 25 .
- ¹⁵ ينظر: غريب إسكندر ، الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2002م ، ص 28 .
- ¹⁶ ينظر : أحمد مختار عمر ، عم الدلالة ، عالم الكتاب ، الطبعة الخامسة ، 1998 ، ص 54 - 55 .
- ¹⁷ ينظر : ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلطف وتداولية الخطاب ، ص 92 - 93 .
- ¹⁸ عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الطبعة الأولى ، 2003م ، ص 64 .

- ¹⁹ ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ترجمة صابر الحباشة ، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، الطبعة الأولى ، سنة 2007م ، ص 125 - 126 .
- ²⁰ ينظر: صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو ، ص 27 .
- ²¹ ينظر : جان سيرفوني: الملفوظية ، ترجمة: قاسم المقداد ، اتحاد الكتاب العرب ، دط ، دمشق ، 1998م ، ص 27 .
- ²² ينظر: محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام 2004م ، ص 104-105.
- ²³ محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002م ، ص 16 .
- ²⁴ المرجع نفسه ، ص 16-17 .
- ²⁵ ينظر:عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، دار المعارف ، مصر ، د- ت ، ط 3 ، ص 260-261.
- ²⁶ ينظر: ابن هشام الأنصاري: شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ومعه منتهى الأدب بتحقيق شرح شذور الذهب لمحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكوخ للطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ط 1383 ، هـ، ص 170.
- ²⁷ محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال ، أنظمة الدلالة في العربية ، ص 103-104 .